اسم مدينة بابل

بوركارت كيناست

لدى مناقشة برنامج هذا الاجتماع مع مضيفنا الدكتور مؤيد سعيد اقترح ان اقدم تقريرا موجزا عن المشاكل المتعلقة باسم مدينة بابل ان هذه المشاكل كما تعلمون تنشاء جزئيا من الكتابات المختلفة لذلك الاسم وكذلك من اصل الاسم او على وجه اكثر تحديدا من مسألة ما اذا كان الاسم يعود الى الاصل السومري كاد ينكيرا (KA - DINGIR - RA) او الى الاصل السامي بابليم (Bab - ilim) وكلاهما يعنيان (بوابة الاله) او الى بابلا (Babilla) المشتقة من لغة سكان حوض الفرات (Proto Euphratin) (اذا ما استعرنا مصطلح لاند سبركر) او لغة اخرى . عندما قررت ان اتناول ذلك الموضوع لم اكن اعلم ان السيدة ترينكفالدر (Trenkwalder) سوف تتحدث عن نفس المشكلة بالضبط . وكما يبدو فانها توصلت من نواحي كثيرة الى نفس الاستنتاجات التي توصلت اليها وهذا يعني ان بوسعي ان اختصر تقريري لتجنب التكرار .

ورغم ذلك اؤكد حقيقة ان مسألة اسم مدينة بابل لا تهم فقط عالم فقه اللغات القديمة . اذ لو اخذنا الحالة الاثارية للموقع يستحيل الوصول حتى الى الطبقات البابلية القديمة عن طريق التنقيبات . وان عمر المدينة في مثل تلك الظروف لا يمكن تحديده عن طريق علم فقه اللغة التاريخي .واذا قررنا ان نتفق مع السيدة (ترينكفالدر) على ان اسم بابلا (Babilla) يعود الى لغة الفرثيين الاوائل وليس الى اصل سومري او سامي فان ذلك القرار يعني ان اقدم مستوطنة في هذا الموقع تعود الى الالف الرابع قبل الميلاد على الاقل .

لتأكيد هذا القول يجب ان نلقي نظرة قصيرة على التدرج التاريخي . اننا نعلم انه في حوالي ٥٠٠٠ قبل الميلاد استقرت في سهول جنوبي بلاد الرافدين اقوام قدموا من الشمال . ونعلم ايضا انه في بدء الالف الثالث قبل الميلاد استقر قوم من اقوام الجزيرة العربية بين دجلة والفرات ويبدو انهم اسسوا سلالة كيش الاولى بعد ذلك بفترة قصيرة ـ ولكن السومريين في الجنوب اتجهوا شمالا الى الخط الموصل بين الديوانية وينبور . ان القرار بشأن اصل اسم مدينة بابل يجب يتخذ تحت هذا الاطار العام .

يمكن الرجوع الان الى الاشارات للكتابات المختلفة لاسم مدينة بابل في اقدم العصور في بلاد ما بين النهرين في كتاب الفهرس الجغرافي (Répertoire Géogrphique) المنشور في جزئين وفي كتاب سيصدر ـ قريبا حول الكتابات البابلية القديمة . ولاسباب منهجية نستطيع ان نهمل الاشارات من الفترات التالية اذ ان هذه لن تساعد على الاكثر على حل مشاكلنا .

لنبدأ بالمواد البابلية القديمة ونعود الى الوراء . اننا نجد في البابلية القديمة عددا كبيرا من الاشارات المكتوبة هكذا « كاد ينكيراكي » (ka.DINGIR .RA.KI),ولو في ذلك الحين على الاقل كان ذلك الاسم فيما يبدو يعتبر بابليم (Bab - ilim) وهو مشتق من النسبة (KI. Ba - bi - la - ju - um Ki , ul Ba -bi - laaju) وكل منهما موید بنصوص من ماري . كما اننا نجد (tin - tir Ki) ولكن من حيث ان هذه التهجئة ـ نادرا ما توجد في رسائل (OB) وصيغ التواريخ والنقوش الملكية فانه شائع جدا في الاشكال التالية لاسم مدينة بابل .

وفي العصور السومرية الحديثة هناك عدد كبير من الاشارات الى كادينـكيراكي (hlhmo hukl vdzm vméd, (ka. dingir . RAKI) (énsi) ndlhs Whlshf) للمدينة . وبجانب ذلك نجد حتى الشكل التالي كاد ينكيرماكي (KA. dingIR - ma Ki) وهو دليل واضح على حقيقة اننا نتعامل هنا مع رمز يقرأ بالسامية بابليا (Bab - ilim - ma)[1]

ان اقدم الادلة على مدينة بابل هي التي اوردها الملك الاكدي القديم ساركا ليشاري (Sarkalisarri) (٢٢١٧ ـ ٢١٩٣ قبل الميلاد . والذي يتحدث فيها عن بناء معبد للاهين انونيتوم (Annunitum والال A - LAL) في كادينكركي (KA - diNGirki)

اذا تناولنا هذا الدليل نجد ان من السهولة تميز الاسم السومري كادينكيراكي (KA . DINGIR- RA KI) باعتبار الاسم الاصلي للمدينة . من الناحية الجغرافية لا يمكن ابدا اعتبار بابل مستوطنة سومرية لانها تقع خارج الاراضي السومرية وقريبا جدا من مدينة كيش التي كانت ذات نفقذ كبير في ـ فترة ما وعاصمة اول امبراطورية سامية معروفة في بلاد ما بين النهرين . ويجب ان نؤكد ايضا ان كادينكيرماكي (KI ka - DINGIR - ma) كثيرا ما تكتب في الوثائق من الجنوب ويشير المقطع (ma -) الى ان المقصود كان بابليا (Bab - ilim - ma)

اما بالنسبة للتفسير السامي للاسم بابلم (Bab - ilim). فيجب ان نمحص جديا نوع هذا الاسم . ان الاسم المركب الذي يتضمن (babu) بوابة تليه حالة المضاف اليه يبدو غريبا بعض الشيء اذا اخذنا بنظر الاعتبار موقع المدينة في صحراء سهلة . وبالمقارنة في العربية مثلا يبدو من المستحيل ايجاد اسماء امكنة تتضمن المقطع (babu) (بوابة) اذا لم تكن ترتبط ببوابة طبيعية مثلا باب المندب (بوابة الدموع) عند مدخل البحر الاحمر او باب الهوى (بوابة الريح) الممر الجبلي على الطريق من انطاكية الى حلب ـ ويذكر كتاب الفهرس الغرافي (Répertoire Géographique) لا توجد حالات موازية في الكتابة المسمارية القديمة لاسماء مدن او قرى فيها المقطع babu (بوابة) او المقطع السومري (KA) كمقطع اول . ورغم انه لا يوجد دليل على تهجئة ة مقطعية (Ba - bil (- al . او ما اشبه لاسم مدينة بابل في العصور الاولى فان على نتيجة لهذا التحميص الموجزان اؤيد اي من يعتقدون بان الاسم اصلي للمدينة كان حقا بابلا (Babil 'a') او ما اشبه ومنهم السيدة ترينكفالدر . وكذلك الدكتوركيلب (I.j. gelb) من المعهد الشرقي التابع لجامعة شيكاغو قبل سنوات (٣) . ويجب ان اؤكد ثانية ان هذه النتيجة تعني ان مدينة بابل اقدم بكثير من الاكدية القديمة وقد اسسها سكان الرافدين القدماء ، أستنادا الى لاند سبيركر (landsberger) مرة اخرى مثل الكثير من المدن الاخرى في جنوبي بلاد ما بين النهرين (٤) . ولكن تبقى مسألة الكتابات المختلفة لأسم مدينة بابل : في حين ان ـ الاسم بابلم (Bab - ilim) ورمزه السومري كادينكيراكي (KA. DINGIR KA KI) يمكن ان يفسر بسهولة كاصل شعب للاسم بابلا (Babil a) القديم او ما اشبه فان التهجئة تنيتركي (TIN. TIR KI) لاسم من العصور البابلية القديمة وبعدها يبدو غريبا لاول وهله . وان التفسير الذي اعطاه او نكر(U. Unger) قبل حوالي خمسين عاما (٥) بمعنى (Lebenshain) اي غابة الحياة (Lucus Vitae)

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

غير ممكن لاسباب نحوية. فلو اعتبرناه سومريا فان الترتيب الكلمات سيكون مقلوبا عن التهجئة المتوقعة (TIR . tin KI) بالمقارنة مع التهجئة الصحيحة (ka . dingir . ra KI) لذا علينا ان نقبل حقيقة ان (TIN . TIR Ki) تمثل تهجئة قديمة جدا يعود تاريخها الى العصور التي لم يكن قد ثبت فيها ترتيب العلامات وينطبق نفس الشيء على تفسير الاسم باعتباره ساميا والذي ـ كما رأينا يطابق ـ الخلفية التاريخية بشكل ادق .

وبخصوص معنى الاسم يجب ان نلاحظ ان المعنى « غابة الحياة » Lucus vitae (TIN . TIR) يختلف بالطبع عن فكرة « بوابة الاله » ونتيجة لذلك فان (tin . TIR Ki) اسم اخر لنفس المدينة او لقب مثلما تلقب مدينة شيكاغو بالمدينة الجميلة هكذا (City Beauti ful The) ولكن هذا يبدو مستحيلا لان (KA . DINGIR . RA KI) و (TIN. TIR. KI) استعملها الملوك البابليون في البيانات الرسمية ووجود اسمين رسمين مختلفين لفنس المدينة يمثل حقيقة ـ لا مثيل لها في بلاد ما بين النهرين القديمة . ولذا في أيي ان (TIN . TIR KI) مجرد تهجئة اخرى تختلف عن (KA . DINGIR . ra KI) ولكنها تقرأ بنفس الطريقة بالضبط

اذا حاولنا ايجاد حل للالغاز المتعلقة بكتابات اسم مدينة بابل يجب ان نأخذ بنظر اعتبار اسمين جغرافيين يرد ان في الوثائق التي تعود الى الالف الثالث قبل الميلاد . هنا تشير بعض النصوص الاقتصادية السومرية الحديثة الى الاله نركال تيرتيركي وهي نصوص تذكر بعكس ذلك مدنا وقرى تقع في اقليم او ما (Umme) (٦) . ومن الجهة الاخرى نجد حالتين في الوثائق السركونية ـ وحالات كثيرة في النصوص الاقتصادية السومرية الحديثة ترد فيها الاشارة الى مكان باسم تير بيبلا ((a) Tir - Bibil) يقع في منطقة لكش (٧) ويتساءل المرء ما اذا كان المكانات متماثلين .

واذا كان ذلك صحيحا تصبح لدينا معادلتان تستندان الى ارائنا لحد الان : ـ

TIN . TIR Ki = O TIR - ba - bil - la KI

TIN . Tir KI = Babi - lim Babi(a)

في الفقرة الثانية المقطع (TIR) غابة) ناقص ربما بسبب الاصل الذي يفسر (Babilla) باعتباره (Bab - ilim) بوابة الاله . ولكن يبدو ان المعنى الاصلي للاسم الجغرافي كان (woods -) او بالالمانية (wold) بالمقارنة مثلا ـ مع (Bertton - woods) او (schonwald) ولسوء الحظ ان المعجم السومري لا يزيدنا بمعنى مناسب لـ (TIN) (٨)

يجب اذن اضافة ملاحظة قصيرة الى (TIN . TIR . KI) : كما ذكرت آنفا فان هذه تهجئة قديمة جدا رغم انها مؤيدة من العصور السركونية وما بعدها . ولكن نظرا لعدم وجود اشارات اقدم الى الاماكن المذكورة فقد يكون ذلك مسألة صدفة . واذا اخذنا بذلك يصبح لدينا دليل على (TIN. TIR KI) من تاريخ الكتابة .

لقد اخترع السومريون الكتابة في بدء الالف الثالث قبل الميلاد كنظام رمزي (Logographic system) وسرعان ما تم تعديله الى نظام مقطعي (Syllabic system) من قبل الاقوام السامية في الشمال هذا هو ما سماه الدكتور كيلب بتقليد كيش للكتابة قبل زمن طويل . وقد استطاع مؤخرا ان يدعم رأيه هذا في مقاله المعنون (اراء حول ايبلا) (٩) لقد تميز تقليد كيش للكتابة بحقيقة ان الكثير من الرموز المستعملة تختلف عن المدرسة الكلاسيكية للكتابة) وكثير من الرموز تقرأ بشكل غريب بالنسبة لنا ـ لقد استعمل تقليد كيش للكتابة في كافة انحاء شمال بلاد ما بين النهرين وفي سوريا ايضا كما دلت الاكتشافات الاخيرة في تل مرديخ ايبلا).
وقد استمر الى عصر سرجون الاكدي ثم حلت محله المدرسة الكلاسيكية التي يمكن ايضا ان تسمى مدرسة نيبور للكتابة .

اذا اخذنا ذلك التطور بنظر الاعتبار يمكن طرح فكرة (قد تكون غير حقيقة) باعتبار تنتيركي (TIN .TIR KI) تمثل في تقليد كيش معنى (تيربابلا) (TIR . babi(la) بينما تنتمي كادينكيراكي (KA - DINGIR - RA KI) الفا مدرسة نيبور الاحدث القائمة على ذلك الاصل الشائع بابل (Babi) وبعكس ذلك يجب ان نقنع باعتبار ـ تنتير (TIN - TIR) كلمة قديمة مقلوبة . ولكن سواء كان علينا ان نشير الى تقليد كيش ـ للكتابة ام لا باجراء بحث اكثر دقة للمشاكل المرتبط باسم مدينة بابل فقد يمكن التصول الى مفتاح للتفسير باعادة اصل اسماء الاماكن في بلاد ما بين النهرين القديمة الى لغة القوم القدماء الذين قطنوا حوض نهر الفرات . ولكنني اعترف بالطبع ان ذلك اجمل من ان يكون صحيحا .

ختاما اود ان اؤكد ثلاثة نقاط :

١ ـ ان اسم مدينة بابل لم يكن سومريا ولا ساميا في الاصل بل يعود الى لغة سكان حوض نهر الفرات القدماء .

٢ ـ لذا فان مدينة بابل يعود تاريخها الى اقدم المستوطنات في القطر

٣ ـ ان التهجئة تنتيركي (TIN. TIR KI) ربما انتقلت من تقليد كيش للكتابة او على الاقل تعود الى عصور قديمة جدا وقد يكون ذلك مهما بالنسبة لمزيد من الدراسات عن اسماء الاماكن في بلاد ما بين النهرين القديمة .